مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الرابع والخمسون - يناير 2013

الروافد النقدية لمنهجية دراسة المؤلفات

◆ محمد مريني

نعتبر إدراج درس المؤلفات ضمن مكونات مادة اللغة العربية بالشعبة الأدبية، اختيارا مهما لترسيخ تقاليد حب الكتاب، والتمرس على أساليب التنشئة القرائية. تستمد هذه المادة قيمتها التربوية والتعليمية من قصدية تروم إعداد التلاميذ للاطلاع على كتب غير مدرسية تثبيتا لمعارفهم الأدبية، وتوسيعا لمداركهم الثقافية، وتدريبا لهم على الدراسة الذاتية.

وقبل الحديث عن منهجية دراسة المؤلفات –وهو الموضوع الأساس في هذا المبحث- يبدو من المناسب الوقوف عند الاختيارات المتعلقة بنصوص المادة.

1 -نصوص المؤلفات

لقد خضع اختيار نصوص المؤلفات إلى تغيرات متدرجة:

كان هناك في المرحلة الأولى[1] اعتماد على نصوص فكرية بالإضافة إلى الأنواع الأدبية القصة، والرواية، والشعر، والمسرح.

ستكون نصوص المؤلفات في المرحلة الثانية، مقتصرة على الأنواع الإبداعية السردية (القصة، الرواية، المسرح). وقد بررت التوجيهات الرسمية -في ذلك الوقت- هذا الاختيار بكون مقرر النصوص الأدبية يتضمن نصوصا للمطالعة تتميز بطابعها الواصف المستمد من دراسات ومقالات نظرية. لذلك فقد تم الاقتصار في درس المؤلفات على النصوص الإبداعية "حتى يتمكن التلاميذ من الاتصال مباشرة بالنص الإبداعي، ومحاورته منهجيا. وهذا الاختيار لا يلغي النصوص الأخرى التي يمكن أن يتصل بها التلاميذ باعتبارها وسيطا يمكنهم

من معالجة النصوص وتحليلها ويقدم لهم معارف وأدوات للتحليل"[2].

كما أن الاقتصار على النصوص السردية ينسجم مع ميول التلاميذ ورغباتهم؛ ذلك أن الأبحاث العديدة التي أنجزت في هذا المجال "قد أكدت أن المتعلمين يميلون إلى الأدب القصصي، الذي ألفوا الاتصال به عبر القنوات التواصلية السمعية-البصرية، كما أن النصوص السردية تشمل أحداثا ومواقف إنسانية وأبعادا فنية غنية ومتنوعة، وترتبط، في الوقت ذاته، بقضايا الإنسان المعاصر واهتماماته الحياتية"[3].

في المرحلة الثالثة سينفتح برنامج دراسة المؤلفات على النصوص النقدية أيضا، عوض النصوص الإبداعية: "فإذا كان المتعلم قد استأنس بنماذج الكتابة السردية في أشكالها المختلفة، فإن ذاكرته القرائية النقدية-النظرية تحتاج إلى تأثيث معرفي ومنهجي يستحضر المكتسبات السابقة ويطورها في أفق تمكين المتعلم من آليات القراءة الفاعلة التي تؤهله للانتقال من القراءة الخطية-المدرسية، إلى الدراسة النقدية"[4].

2 - منهجية قراءة المؤلفات

تقوم دراسة المؤلف كما هو وارد في الوثيقة الخاصة بهذا المكون على ثلاث قراءات، هي: القراءة التوجيهية، والقراءة التحليلية، والقراءة التركيبية. فالقراءة الأولى تهدف إلى تجميع معطيات ومؤشرات حول المؤلف من داخله ومن خارجه، وهي معطيات تسمح للتلميذ بتوقع اتجاه القراءة، ووضع فرضيات لها. والقراءة الثانية تهدف إلى فهم الأجزاء المقروءة من المؤلف، واستخراج مكوناتها المميزة، وتفكيكها، وتحديد أبعادها، أما الثالثة فتهدف إلى اكتساب القدرة على الربط والبرهنة:

2-1 - الخطوة الأولى: القراءة التوجيهية للمؤلف.

تشمل مرحلتين أساسيتين:

أ- رصد المشيرات الدالة: يقصد بها توجيه ذهن التلميذ واستثارة قدراته إلى كيفية قراءة المؤلف قراءة نسقية واعية، تتضمن ما يلي:

- تحديد الأهداف المتوخاة من تدريس المؤلف.
- ملاحظة مظهره الخارجي، من حيث حجمه، وصورة الغلاف.
- تحديد نوعه الأدبي، وتقديم معطيات حول خصائصه.
- التعرف إلى صاحبه، وزمن كتابته، وتحديد الأسباب الظاهرة والخفية التي دعت إلى تأليفه.
- قراءة مقاطع من البداية، والوسط، والنهاية، قصد طرح تساؤلات

ب- صوغ فرضيات: حول موضوع المؤلف، وشكله، وتوقع نتائجه.

2 - 2- الخطوة الثانية: القراءة التحليلية للمؤلف.

تقترح المنهجية الرسمية، في الخطوة الثانية، تحليل المؤلف من خلال ستة منظورات[5]، نقدمها على الشكل التالي:

- المنظور الأول: تتبع الحدث.

يتكون الحدث من مجموع الوقائع الواردة في الحكي، ويتضمن الأفعال والحالات والوضعيات والأحداث. وتتم دراسة الأحداث من خلال العناصر التالية:

العنصر الأول: المتن الحكائي، يتمثل في الصياغة الموجزة للمحكي، حيث يعاد ترتيب الوقائع زمنيا خاصة حينما لا يلتزم السرد بذلك. يتحقق ذلك بإعادة صياغة الوقائع صياغة إجمالية، وتنظيمها تبعا للتعاقب المنطقي لها. وذلك بعد التخلص من الأدوار السردية التي تتخللها. إنها عملية إعادة بناء الخيط الرابط في المحكي أوالمتخيل بعد الاستغناء عن التقنيات الموظفة في السرد، مثل: الاسترجاع والحذف والتعطيل.

العنصر الثاني: تحديد الحبكة. وهي مجموع المبادئ التي تسير على أساسها الأحداث في النص، والمتمثلة في الجواب عن الأسئلة التالية: من فعل؟وماذا فعل؟ وكيف فعل؟

العنصر الثالث: الرهان. هو هدف النص وفكرته، وقد تكون له دلالة مباشرة أورمزية.

العنصر الرابع: تحديد دلالات وأبعاد الحدث. يمكن بلوغها عن طريق ربط النص بالظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها.

المنظور الثاني: تقويم القوى الفاعلة.

يتحقق ذلك من خلال الكشف عن كل ذات فاعلة-أوعاملة، وهي ما يسمى عادة الشخصيات، سواء تعلق الأمر بذات آدمية، أم بجماد، أم بحيوان، أم بفكرة، أم بقيمة. وتتكون مراحل دراسة هذا المنظور من العناصر التالية:

العنصر الأول: جرد القوى الفاعلة. من خلال استخراجها وتصنيفها في جدول بحسب طبيعتها وصفاتها.

العنصر الثاني: الوظائف. وتتحدد في: العامل المرسل، والعامل المرسل إليه، والعامل الذات، والعامل الموضوع، والعامل المساعد، والعامل المعارض.

العنصر الثالث: العلاقات. وتتلخص في ثلاث هي: الرغبة والصراع والتواصل. بحيث تحكم علاقة التواصل وظيفتي المرسل والمرسل إليه، وتحكم علاقة الرغبة وظيفتي الفاعل والموضوع، وتحكم علاقة الصراع وظيفتي المساعد والمعارض.

العنصر الرابع: وجهة النظر، أو المنظور السردي. ويتمثل في الوضعية التي يوجد عليها السارد بالنسبة إلى ما يحكيه. وتتحدد هذه الوضعية بدرجة معلوماته عن القصة (الرؤية من الخلف – الرؤية مع – الرؤية من أعلى).

المنظور الثالث: الكشف عن البعد النفسي.

يقصد به معالجة الجانب العاطفي بكل مكوناته: المشاعر والأحاسيس والخصائص السيكولوجية بالإضافة إلى المعطيات الفكرية والأخلاقية، والفلسفية. ويتم إنجازها وفق الخطوات التالية:

العنصر الأول: الحقل العاطفي. ويتشكل بواسطة مجموعة من العلاقات: الكاتب/ القارئ، والشخصيات فيما بينها، والشخصيات/الأشياء، والوقائع/الأفكار.

العنصر الثاني: الموضوعات(التيمات) السيكولوجية. وهي الحوافز والدوافع العاطفية التي تظهر في النص بشكل صريح أو ضمني.

العنصر الثالث: الموقف من الوجود (أو رؤية العالم التي يعبر عنها النص)؛ أي مجموع التمثلات والقيم اللاواعية التي تحدد موقف شخص أوجماعة حيال الواقع. وتتمثل في الطموحات والمشاعر والأفكار التي تضم أعضاء فئة اجتماعية وتحدد موقفها من المجتمع الذي تعيش فيه.

العنصر الرابع: دلالات النص وأبعاده السيكولوجية. وذلك من خلال الكشف عن الدلالات والأبعاد الرمزية، انطلاقا من المعطيات التي تم التوصل إليها.

المنظور الرابع: الكشف عن البعد الاجتماعي/التاريخي.

يهدف إلى الكشف عن مراجع النص وسياقاته التاريخية والاجتماعية ومضامينه الخفية والإيديولوجية، انطلاقا من ملاحظة إحالات النص على الواقع والقيم والأنساق الفكرية المتحكمة في تواصل المؤلف والقارئ عبر النص، ويستدعي ذلك تتبع الخطوات الآتية :

– دراسة الحقل الاجتماعي/التاريخي: وضع فهرست لمضامين النص الظاهرة، اعتمادا على لوائح الحقول المعجمية الواردة فيه، والمتعلقة بالوقائع والفئات الاجتماعية والقيم والأنساق الفكرية.

–دراسة علاقة النص بالمجتمع والتاريخ: تهدف إلى كشف عن الصلات التي تربط النص بالظواهر الاجتماعية والتيارات الفكرية المعاصرة أو السابقة.

–الدلالات الاجتماعية التاريخية: تدرس هذه الخطوة النص باعتباره وثيقة تاريخية، تتضمن أحداثا وملامح إيديولوجية، باعتبارها رمزا لقيم ومواقف ثقافية لمؤلف أولوسط اجتماعي أوعصر معين.

المنظور الخامس: استخراج البنية.

يسعى هذا المكون إلى دراسة النظام العام للنص، والبحث عن وحداته، والمبادئ التي تنتظم بواسطتها هذه الوحدات انطلاقا مما يلي:

العنصر الأول: التأليف أ(والتركيب). وهو صيغة التنظيم الظاهرة والمباشرة التي تتعلق بالعرض الكتابي والمظهر المادي للنص. ويتمثل في تقطيعه تقطيعا مباشرا، وإنشاء لائحة مختصرة لأهم فروع تركيبه: الفقرات والفصول والأجزاء والمقاطع والمشاهد....

العنصر الثاني: المتوليات. وهي مقاطع النص، التي تؤدي وظائف معينة أي تقلبات السرد وحلقاته.

العنصر الثالث: التنظيم الزمني. يتم من خلال المقابلة بين المحور المخصص بجرد المقاطع في ترتيبها السردي، والمحور الخاص بترتيب الوقائع على مستوى المتن الحكائي؛ وذلك من أجل مقارنة مدة السرد، ومدة القصة، واستخلاص أبرز الانعكاسات.

العنصر الرابع: التنظيم التيمي. مبدأ يسعف في تنظيم النص، وتحليله انطلاقا من التيمات التي تساهم في جمع عناصر متفرقة في النص.

المنظور السادس: تعريف الأسلوب. يتم من خلال تأمل الطريقة التي يستعمل بها النص اللغة، والكشف عن عملية الانتقاء التي يمارسها، وتعرف المصادر التعبيرية التي ينهل منها، ولأجل ذلك ينبغي تتبع الخطوات التالية:

العنصر الأول: تحديد المعايير والمواضعات، وتتمل في المعيار اللساني، والمعيار الفني، وميثاق القراءة.

العنصر الثاني: يوظف النص مجموعة من الانتقاءات للتأثير في القارئ. ويمكن ملاحظتها من خلال المعجم والتركيب واللغة، ومن خلال صيغ العرض (سردية، وصفية...)، والطرائق البلاغية (الصور البلاغية).

العنصر الثالث: الأسلوب ورهانات النص. يمكن الكشف عن العلاقة بينهما من زاويتين: الأسلوب والمرسل إليه (الوظيفة الشعرية)، والأسلوب ورؤية العالم (تحليل الإيقاع والصور والنبرة).

2 - -3 **المرحلة الثالثة: القراءة التركيبية للمؤلف.**

يتم التركيز في هذه المرحلة على أنشطة التركيب والتقويم، من خلال محاولة تناول بنية المؤلف بشكل عام. يمكن الاعتماد هنا على وضع تصميم عام للقراءة التركيبية، اعتمادا على الجوانب التالية:

- التقارير التي يعدها التلاميذ في إطار عمل المجموعات.

- نتائج المناقشة التي تعقب كل تقرير.

ويستحسن قراءة مقاطع محددة، أثناء المناقشة؛ وذلك بهدف الاستدلال والبرهنة وتأكيد صحة التأويلات المتوصل إليها.

- بعد الانتهاء من المناقشة، والمقابلة بين مختلف النتائج، يقوم التلاميذ بتقويم المؤلف بشكل عام، وإصدار أحكام نقدية عامة، مع الاستئناس بالأحكام النقدية لنقاد آخرين.

3 -الروافد النقدية لمنهجية دراسة المؤلفات.

ما يميز منهجية دراسة المؤلفات كما عرضناها سابقا، هو طابعها التكاملي التركيبي؛ إذ لا نجد فيها- في الحقيقة- منطلقات نظرية موحدة، بل هناك انتقاء لأدوات تحليلية، من مصادر منهجية مختلفة. لأمر ما لا نجد في المرجعية التربوية الرسمية، الخاصة بمادة المؤلفات، استعمالا لمصطلح "منهج"، بل تكتفي الوثائق باستعمال مصطلح "منهجية"[6]. إن أي منهج يفترض وجود دعامتين أساسيتين:

- مجموعة من الأدوات التحليلية والإجرائية.

- أسس فلسفية بمثابة قواعد خلفية لهذه الأدوات[7*].

قد لا تكون هذه الشروط متوفرة في المنهجية التي عرضناها أعلاه. إن منهجية دراسة المؤلفات عبارة عن تركيبة -غير مبرمجة- لأدوات منهجية من مشارب نقدية مختلفة. لا أكون مبالغا إذا قلت أن هذه المنهجية عبارة عن تركيب لكل ما في ترسانة النقد الأدبي من مناهج التحليل: من التاريخية إلى الماركسية الكلاسيكية، والبنيوية التكوينية، إلى التحاليل النفسية، فالأسلوبية، والموضوعاتية، فالبنيوية... سنحاول من خلال ما يلي رصد مظاهر ومستويات حضور هذه المناهج:

من أجل إضفاء طابع النظام على المادة التي سنقدمها هنا نميز بين "المنظور" و"العنصر": فالمنظور يحيلنا على مستوى من المستويات الستة: فهناك -مثلا- المنظور الأول الذي يتعلق ب "تتبع الحدث"، وهناك المنظور الثاني الذي يتعلق ب "القوى الفاعلة"... وهكذا. وكل منظور يتكون من مكونات جزئية نسميها "عناصر". فالمنظور الأول يتكون من ثلاثة عناصر: جرد الوقائع، والحبكة، والرهان. والمنظور الثاني يتكون من أربعة عناصر: جرد القوى الفاعلة، وظائف القوى الفاعلة، العلاقات بين القوى الفاعلة، ووجهة النظر.

3-1 - الرافد المنهجي البنيوي.

نجد لهذا المنهج حضورا قويا في المنهجية الرسمية. يمكن تتبع مظاهر هذا

الحضور من خلال المستويات التالية:

يتكون المنظور الثاني من ثلاثة عناصر، يتبين منذ الوهلة الأولى أنها مستمدة من النقد البنيوي:

- يتمثل العنصر الأول في جرد القوى الفاعلة؛ أي استخراجها وتصنيفها في جدول بحسب طبيعتها وصفاتها[8]. من الواضح أن هذا التصور للقوى الفاعلة له مرجعية بنيوية. ذلك أن المنهج البنيوي لم يكن ينظر إلى الشخصيات بوصفها كيانا (نفسيا، اجتماعيا أوإنسانيا)، بل كان ينظر إلى الشخصية باعتبارها دورا يؤدى[9]. وقد جعل هذا النقد من الشخصية الفنية مجرد علامة ذات وظيفة ضمن نسق من العلامات، وذلك من خلال الدعوة إلى "المقاربة الوظيفية" للشخصية، بدل المقاربة "الوصفية الإنعاتية" لها la description qualificative. لذلك ظهرت المقاربات البنيوية التي استبدلت مفهوم الشخصية بأدوات إجرائية أخرى مثل: نظرية العوامل لـ "غريماس A.J. Greimas[10]، والأفعال لـ "رولان بارت" R. Barthes: خاصة في المقال الذي كتبه بعنوان "نحو وضع بنيوي للشخصيات"[11].

- ومن الناحية التفصيلية نجد المنهجية تتحدث عن "وظائف القوى الفاعلة"، وتحددها في ستة: العامل المرسل . العامل المرسل إليه . العامل المساعد –العامل المعاكس- العامل الذات – العامل الموضوع[12]. نشير هنا إلى أن هذه الوظائف مستمدة مباشرة من كريماس، في "النموذج العاملي"[13].

- أما العنصر الثالث في هذا المنظور المتعلق بالقوى الفاعلة، فيتمثل في "العلاقات بين القوى الفاعلة"[14]. وتتلخص في ثلاث علاقات:

أ- "الرغبة"، التي تحكم العلاقة بين العامل الذات والعامل الموضوع.

ب- "التواصل" الذي يحكم العلاقة بين "العامل المرسل" و"العامل المرسل إليه".

ج- "الصراع" الذي يحكم العلاقة بين "العامل المساعد" و"العامل المعارض". ودون التمحل في تتبع أوجه الشبه بين "العلاقات" في منهجية تحليل المؤلفات، وبين "العلاقات" عند البنيويين، أكتفي بالقول بأن هذا النمط من التصنيف تقليد بنيوي صرف: أذكر هنا بما قام به الناقد الفرنسي "تودوروف" T. Todorov، في دراسته للعلاقات بين الشخصيات، انطلاقا مما يسميه "المحمولات القاعدية" و"قواعد الفعل والاشتقاق"[15]. وكذلك ما قام لـ "كلود بريمون" C. Bremond في "النموذج المنطقي": وهو نموذج يقوم على منطقية العلاقة الرابطة بين مختلف الأفعال، من خلال نمطين متعارضين، تتطور بواسطتهما كل عملية سردية، هما "مسار التحسين" و"مسار الانحطاط"[16].

- أما العنصر الرابع في هذا المنظور المرتبط بالقوى الفاعلة فهو "وجهة النظر" أو "المنظور السردي". يتعلق الأمر هنا بالوضعية التي يكون عليها السارد بالنسبة لما يحكيه، كما أن لهذا الأمر علاقة بحدود المعلومات التي يمتلكها هذا السارد عن الشخصيات.

قبل تفصيل الحديث في الأصول المنهجية البنيوية لهذا العنصر، أشير إلى أن مفهوم "وجهة النظر" قد أقحم بطريقة متعسفة في هذا المنظور؛ أي المنظور المتعلق ب "القوى" الفاعلة. ذلك أن "وجهة النظر" هي مكون من مكونات السرد، وليس القوى الفاعلة، (أوالشخصيات). لذلك كان من المناسب إدراجه في المنظور الأول المتعلق ب "تتبع الحدث". يقول "تودوروف": حينما نقرأ عملا تخييليا، فإنه لا يكون لنا إدراك مباشر للحوادث الموصوفة، بل ندرك إلى جانبها -ولو بطريقة مختلفة- إدراك السارد لها"[17].

وقد تعددت الاصطلاحات التي قدمت لهذه التقنية السردية في النقد البنيوي: وجهة النظر-مظاهر السرد-أشكال التبئير[18]... إلخ.

وقد تحدثت المنهجية الرسمية عن ثلاث وجهات نظر، تتمثل في: الرؤية من الخلف-الرؤية من الأعلى-الرؤية مع. والجدير بالذكر أن الاقتراحات التي قدمها النقاد البنيويون لا تخرج -هي الأخرى- عن هذا التصنيف. فقد ميز "تودوروف" T. Todorov-على سبيل المثال- بين ثلاثة أنماط من الرؤى السردية:

السارد > الشخصية (الرؤية من الخلف : Vision par derrière). حيث يكون السارد أكثر معرفة بالأحداث من الشخصية الروائية[19].

السارد = الشخصية (الرؤية مع: Vision avec): تكون معرفة السارد- في هذه الحالة- على قدر معرفة الشخصية. فهو لا يقدم تفسيرا للأحداث قبل أن تكتشفها الشخصيات[20].

السارد< الشخصية (الرؤية من الخارج Vision du dehors): تكون معرفة السارد في هذه الحالة أقل من معرفة أي شخصية من الشخصيات. إنه يكتفي فقط بتقديم ما يراه الآخرون ويسمعونه[21].

- التنظيم الزمني الذي يتم من خلال تأمل المقابلة بين المحور المخصص لجرد المقاطع في ترتيبها السردي، والمحور الخاص بترتيب الوقائع على مستوى المتن الحكائي، لأجل مقارنة مدة السرد ومدة القصة واستخلاص أبرز الانعكاسات[22].

الإطار المرجعي لهذا المفهوم هو السرديات البنيوية التي طرحت ما يسمى "النظام الزمني" L'ordre temporel. وذلك لأن تتابع الأحداث في نص سردي

ما لا يتطابق دائما مع ترتيبها الطبيعي في الواقع. مما يؤدي إلى ما يسمى "المفارقات السردية" Les anachronies narratives. لذلك فإن دراسة النظام الزمني تستدعي المقارنة بين المتن الحكائي، والمبنى الحكائي، أوما يسمى "زمن السرد" و"زمن القصة". فزمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا الترتيب[23].

- تتحدث المقدمة في المنظور الرابع عن الكشف عن مراجع النص وسياقاته التاريخية والاجتماعية، وعن مضامينه الخفية الإيديولوجية انطلاقا من ملاحظة إحالات النص على الواقع والقيم والأنساق الفكرية. يحيلنا هذا الكلام على موضوع التناص الذي طرح في النقد الغربي الحديث؛ من منطلقات منهجية مختلفة:

- طرح من منظور الشعرية الحديثة؛ نشير هنا تحديدا إلى كتابات "جيرار جينيت"، الذي تناول فيها ما سماه "المتعاليات النصية" Transtextualité، وتضم كلا من "التناص"، و"المناص"، و"الميتانص"، و"النص اللاحق"، و"معمارية النص". لذلك فقد بدأ "جيرار جينيت" كتاباته في الموضوع بكتابه: "جامع النص" Architexte (1979)، ثم "أطراس" Palimpssestes (1982) إلى "عتبات" Seuils (1988)). لقد كان "جينيت" معنيا- في هذه الكتابات التي خصصها لموضوع التناص- بالبحث عن القوانين العامة للنصوص الأدبية، وبالعلاقات الظاهرة والخفية بينها، لكن في الحدود النصية لهذه الأعمال. أي "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية بنصوص أخرى"[24].

- إطار التناص الخارجي الذي يربط الكتابة بمصالح سوسيواقتصادية متباينة[25]. لذلك، من خلال البحث في البنيات السوسيونصية، واعتبار النص الأدبي نسقا لغويا تتقاطع فيه المصالح الاجتماعية والطبقية المختلفة، وأيضا مجالا لتقاطع نصوص متعددة من المجتمع والتاريخ. ونذكر هنا بفكرة "يوري لوتمان" القائلة بأن "الثقافة يمكن أن ينظر إليها باعتبارها نصا ثقافيا"[26].

- طُرح موضوع التناص من منظور جمالية التلقي؛ التي تنظر إلى النص باعتباره "عملية انتقاء من الأنساق الأدبية والاجتماعية والتاريخية والثقافية"[27].

2-3 -الرافد المنهجي الشكلاني

هناك حضور لهذا الرافد من خلال المستويات التالية:

- العنصر الأول، الذي ورد في المنظور الأول بعنوان: "جرد الوقائع". نقرأ في هذا الإطار ما يلي: " جرد الوقائع (المتن الحكائي)؛ من خلال إعادة صياغتها

بطريقة إجمالية ومركزة، وتنظيمها تبعا لتعاقبها المنطقي. وذلك خلافا لما يسمى "المبنى الحكائي"، الذي يتعلق بتطور الأحداث في النص الفني، الذي نريد تحليله". يحيلنا هذا التصور مباشرة على الشكلانيين الروس[28]، خاصة ما تناوله "توماشفسكي" في مقاله "نظرية الأغراض Thématique"[29]، "حيث يميز بين "المتن الحكائي" و"المبنى الحكائي". يقول:

"نسمي متنا حكائيا مجموع الأحداث المترابطة في ما بينها، التي يقع إخبارنا بها خلال العمل، إن المتن الحكائي يمكن أن يعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي، بمعنى النظام الزمني السببي للأحداث، وباستقلال عن الطريقة التي نظمت بها هذه الأحداث أوأدخلت في العمل"[30].

في مقابل المتن الحكائي، يشير "توماشيفسكي" إلى المبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها، لكن يراعى فيها نظام ظهورها في العمل، كما يراعى ما يتبعها من معلومات تعينها لنا[31].

لذلك نستخلص أن منظور "توماشفسكي" إلى الحبكة يختلف عن المفهوم الأرسطي؛ ذلك أن الحبكة الأرسطية المحكمة ينبغي أن تقدم لنا الحقائق الأساسية المألوفة في الحياة؛ وذلك من خلال عملية ترتيب الأحداث الواقعة. أما عند الشكلانيين "فكثيرا ما كانت نظرية الحبكة ترتبط بمفهوم التغريب، فالحبكة تمنعنا من النظر إلى الأحداث على أنها نمطية مألوفة"[32].

المنظور الخامس: استخراج البنية. من خلال هذا المكون تتم دراسة النص العام والبحث عن وحداته والمبادئ التي تنتظم بواسطتها هذه الوحدات. نقف تحديدا عند العنصر الثاني والثالث في هذا المنظور: أما العنصر الثاني فيتمثل في البحث عن المتواليات؛ ويقصد بها "مقاطع النص التي لها دور في تقلبات السرد". تتجه الدراسة من هذا المنظور إلى تقطيع النص إلى مفاصل بحسب الوظائف.

وقد سبق للشكلانيين الروس أن تحدثوا عن "المتواليات"، التي تتمثل في الوحدات الصغرى التي يتألف منها النص الأدبي. وقد استعمل الناقد الشكلاني توماشفسكي مصطلحا آخر هو "الغرض". يتمثل الغرض هنا في بنية كبرى يمكن تقسيمها إلى مجموعة من الأجزاء تكون في شكل وحدات عرضية، تقسم كل وحدة منها إلى أجزاء أخرى، إلى أن نصل إلى الجزء الذي لا يتجزأ، الذي يسميه "توماشفسكي" حافزا Motif[33]. تنقسم هذه الحوافز -في نظر توماشفسكي- إلى نوعين: حوافز مشتركة؛ يؤدي الاستغناء عنها إلى إخلال بالبنية السببية للأحداث. وحوافز حرة يمكن الاستغناء عنها دون أن يخل ذلك بالعمل[34]. ويرى "توماشفسكي" أن أهم مقوم يحقق جمالية النص الحكائي

هو التناسق بين مختلف الحوافز المشكلة للنص.

3-3 -الرافد المنهجي الموضوعاتي.

سنتتبع بعض العناصر المنهجية التي استوحتها منهجية دراسة المؤلفات من الاتجاه النقدي الموضوعاتي. تتمثل هذه العناصر في ما يلي:

- الرهان، وهو وصف النص وفكرته، وقد تكون له دلالة مباشرة وأحيانا رمزية. يحيلنا هذا التصور على مفهوم "القصد" أو "المقصدية" أو "القصدية" الذي ظهر عند النقاد الموضوعاتيين. المقصدية هي "الغرض المتوخى وهو البوصلة التي توجه العناصر وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام"[345]. تعود أصول هذه الفكرة عند الموضوعاتيين إلى الفيلسوف الموضوعاتي "هوسرل"، الذي وصف الوعي باعتباره "فعلا قصديا موحدا"[36]، وأن "كل وعي هو وعي بشيء ما"[37]. وقد ركز النقاد الموضوعاتيون على طبيعة العلاقة الشعورية التي يستحضر -من خلالها- المبدع الموضوعات والقضايا، داخل العمل الإبداعي. وبهذه الصورة تتحدد هوية المبدع عبر "احتكاكه وبطريقة إلمامه بالعالم والإلمام بنفسه وبأسلوب العلاقة التي تجمعه بالموضوعات".[38]

- أما العنصر الثاني في المنظور الأول فهو "التيمات النفسية"، وتتمثل في الحوافز والدوافع العاطفية التي تظهر في النص بشكل صريح أوضمني. أيضا يحيلنا هذا المفهوم على المنهج الموضوعاتي، الذي يجعل من التيمة محور العملية التحليلية. يقول الناقد الموضوعاتي جون بيير ريشار J. P. Richard:

"التيمة مبدأ تنظيمي محسوس أوديناميكية داخلية، أي شيء يسمح للعالم حوله بالتشكل"[39]. أما تأكيد الطابع النفسي لهذا التيمة فهو أمر طبيعي، وقد أشار إليه أغلب الذين تناولوا هذا الاتجاه بالدراسة والتحليل[40].

3-4 -الرافد المنهجي الاجتماعي

هناك عدة عناصر استوحتها منهجية تحليل المؤلفات من مصادر نقدية اجتماعية، من أهم هذه العناصر ما يلي:

- العنصر الثالث في المنظور الرابع المتعلق بالبعد النفسي، المتمثل في "الرؤية للعالم". وهي مجموع التمثلات والقيم اللاواعية التي تحدد موقف شخص أوجماعة حيال الواقع. وتتمثل في الطموحات والمشاعر والأفكار التي تضم أعضاء فئة اجتماعية وتحدد موقفها من المجتمع الذي تعيش فيه.

تحيلنا هذه الرؤية على المنهج البنيوي التكويني، الذي وضع أسسه المنهجية كل من جورج لوكاتش G.Luckacs ولوسيان

غولدمان L. Goldmann؛ وذلك في سياق إبراز التفاوت الموجود بين الانتماء الطبقي للمبدع، والاختيار الإيديولوجي الذي يتبناه في أعماله الأدبية. وهذا ما سماه لوكاتش "المفهوم التاريخي والفلسفي"[41]، وكان غولدمان أكثر وضوحا في تحديد مفهوم "الرؤية للعالم": حين أشار إلى أن كل عمل أدبي يحمل رؤية للعالم. ويعني بهذه الرؤية "مجموع الأفكار والمشاعر والإحساسات التي تجمع بين أعضاء جماعة ما، وتجعلها في تعارض مع الجماعات الأخرى"[42].

نشير هنا أيضا إلى أنه كان من المناسب إدراج هذا العنصر ضمن المنظور الرابع، المتعلق ب "الكشف عن البعد الاجتماعي / التاريخي". وقد أكد غولدمان نفسه الطابع الاجتماعي لهذه الرؤية، التي تتكون أصلا في وعي الجماعة الاجتماعية. إذ لا يمكن لهذه الرؤية أن تنتج "إلا عن النشاط المشترك لعدد مهم من الأفراد الموجودين في وضعية متماثلة، أي من الأفراد الذين يشكلون زمرة اجتماعية ذات امتياز والذين عاشوا لوقت طويل وبطريقة مكثفة مجموعة من المشاكل وجدوا في البحث عن حل ذي دلالة لها"[43].

المنظور الرابع: الكشف عن البعد الاجتماعي /التاريخي؛ وذلك من خلال الكشف عن مراجع النص، وسياقاته التاريخية والاجتماعية ومضامينه الخفية والإيديولوجية، انطلاقا من ملاحظة إحالات النص على الواقع، والقيم، والأنساق الفكرية المتحكمة في تواصل المؤلف، والقارئ عبر النص.

من الواضح أن المصدر المنهجي للمادة النظرية المعروضة في هذا المنظور يتراوح بين نظرية الانعكاس وعلم اجتماع النص.

يحيلنا العنصر الأول في هذا المنظور (الكشف عن البعد الاجتماعي)، على علم اجتماع النص الذي كان يهتم بالطابع الاجتماعي للغة الأدبية. ذلك أن منهجية المؤلفات تؤكد ضرورة جرد لوائح الحقول المعجمية ذات العلاقة بالوقائع والفئات الاجتماعية. تمثل هذه الفكرة محور اشتغال علم اجتماع النص (أوسوسيولوجية النص)؛ الذي يبحث عن مظاهر حضور "الاجتماعي" في "الأدبي"؛ وذلك من منطلق كون المصالح الاجتماعية تأخذ أشكالا خطابية. وهو تصور يؤسس لعلاقة خاصة بين "الأدبي" و"الاجتماعي" على المستوى النصي[44]. يقول أحد المنظرين لهذا الاتجاه:

"إن علم اجتماع النص يهتم أساسا بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص"[45].

نشير هنا -تحديدا- إلى باختين الذي يرى أن "الكلمة محملة دائما بمضمون أو معنى إيديولوجي أوواقعي، على هذه

الشاكلة نفهمها ولا نستجيب إلا للكلمات التي توقظ فينا أصداء إيديولوجية أولها علاقة بالحياة"[46]. وهذا ما حاول إثباته من خلال كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة"، حيث يرى أن عملية الإرسال والتلقي أوالكلام والاستماع تأتي دائما في سياق إيديولوجي معين؛ إن ما ننطقه وما نسمعه ليس بكلمات ولكنه حقائق أوأكاذيب، أشياء حسنة أوقبيحة، مهمة أومبتذلة، مفرحة أومحزنة.

أما العنصران الثاني والثالث في المنظور المشار إليه فيمكن تأصيلهما ضمن المنظومة الماركسية التقليدية، التي ترى أن الوجود الاقتصادي والاجتماعي هو الذي يحدد الوعي. لقد كانت الوثيقة الرسمية صريحة في تبني مبدأ الانعكاس؛ لقد ورد فيها أن هذه الخطوة تدرس النص باعتباره وثيقة تاريخية تتضمن أحداثا وملامح إيديولوجية". من هذا المنظور تتحدد ماهية الأدب هنا باعتباره عنصرا من عناصر البناء الفوقي، أي انعكاسا لصيرورة مادية واجتماعية معينة. توجد جذور هذا الفهم في مختلف كتابات "كارل ماركس" K.Marx، منها ما قاله في كتابه "إسهام في نقد الاقتصاد السياسي": "ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم، بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"[47].

من الواضح أن منهجية تدريس المؤلفات بالصورة التي قدمناها هي عبارة عن توليف وتركيب لمجموعة من العناصر النقدية ذات أصول منهجية مختلفة. وإذ تجاوزنا الإطار الديداكيكي الذي تندرج ضمنه المنهجية، وتناولناها باعتبارها أداة تحليلية نقدية، نتذكر الفرضية التي وضعها "ستانلي هايمن" منذ وقت مبكر، حين تحدث يوما عن "ناقد مثالي" يمارس عملية التحليل اعتمادا على خطة منظمة "تكون تركيبا لكل الطرق والأساليب العلمية التي استغلها رفاقه الأحياء"[48]. ولذلك فإن رؤيته المنهجية تكون منفتحة على "جميع تلك الوسائل المتضاربة المتنافسة"[49]، يركب منها خلقا سويا لا تشويه فيه. هذه العملية التركيبية ينبغي أن تتم -في نظره- "حسب خطة منظمة ذات أساس أوهيكل مرسوم"[50]

لائحة المراجع:

أ- وثائق تربوية رسمية:

- التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلم، مديرية المناهج، نونبر 2007.

- اللقاءات التربوية الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالتعليم الثانوي (وثائق خاصة بالسنة الثالثة)، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، مديرية المناهج، 1996.

- المذكرة 389، بتاريخ 11- 02- 1974، بعنوان: مذكرة توجيهية حول طريقة تدريس النصوص الأدبية.

- منهاج اللغة العربية، وزارة التربية الوطنية، الكتابة العامة للشؤون التربوية، مديرية التعليم الثانوي، قسم البرامج والمناهج والوسائل التعليمية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.

- وثائق خاصة بحلقات استكمال تكوين الأساتذة العاملين بالتعليم الثانوي: مادة اللغة العربية، المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية الأكاديمية 1993

- وزارة التربة الوطنية، اللقاءات الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالثانوي، وثائق خاصة بالسنة الثانية الثانوية، مطبعة المعارف الجديدة، الربط، 1995.

ب- مراجع باللغة العربية:

إجلتون، الماركسية والنقد الأدبي. ترجمة: د.جابر عصفور، مقال بمجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد: 5، عدد: 3- أبريل، ماي، يونيو 1985.

أرسطوطاليس، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (ب ت).

جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة: د.جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، 1978

حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999

روبيرت ماجليولا، التناول الظاهراتي للأدب، وظيفته ومناهجه، ترجمة: عبد الفتاح ديدي، مج: 1، أبريل 1981، ص: 190

ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، ج 2 ، دار الفكر العربي، القاهرة.

محمد مفتاح، في سمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، البيضاء، 1982، ص: 183.

ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة:محمد البكري ويمنى العيد، منشورات توبقال للنشر، البيضاء، ط1:1986

د- مراجع باللغة الفرنسية:

- A.Viala et M.P. schmitt. Faire lire. Didier. Paris. 1986.

- A.Viala et M.P. schmitt. Faire lire. Didier. Paris. 1986.

- C. Bremond. Logique du récit. seuil. Paris. 1973

- F. Richadeau. Sur la lecture.

bibliothèque Richadeau / A. Michel. Paris. 1992

- G. Genette. Palimpseste. Seuil. Paris. 1982.

-Greimas. Courtès. Sémiotique raisonnée de la théorie du langage. T: 2. Hachette. Paris 1986

- H. R. Jauss. pour une esthétique de la réception. ed Gallimard 1978.

- L. Goldmann. le dieu caché. Gallimard. Paris. 1979

- L. Goldman. Marxisme et sciences Humaines. Gallimard. Paris. 1970

- M. Fayol. Le récit et sa construction.une approche de psychologie cognitif Delachaux Nuestlé. Paris. 1985

- M. Rossini-Mailhe. Edition Retz. Paris. 1992

- P. L. Assoun. Littérature et psychanalyse Freud et la création littéraire. ed Marketing.S.A. Paris. 1996

- P.Zima. L'ambivalence Romanesque:Proust. Kafka. Musil. Le Sycomore. Paris. 1980.

- P. Zima. Manuel de sociocritique. Picard. paris. 1985

-J. Piaget. Les relation entre l'intelligence et l'affectivité dans le développement de l'enfant.. fondation jean Piaget. Genève. 2006

- T. Todorov. théorie de la littérature. textes des formalistes russes. 1965

- V. CHKLOVSKY. sur la théorie de la prose. Slavia l'AGE d'Homme LENVANNE. 1973

- V. Propp. Morphologie du conte. traduction: M. Derrida. T.Todorov. C. Kalan. Seuil. Paris. 1970

الهوامش

1 - تحديدا قبل الإصلاحات التي عرفها النظام التعليمي المغربي أواسط التسعينات.

2 - وثيقة تربوية: منهاج اللغة العربية بالتعليم الثانوي، 1996، ص: 72

3 - المرجع نفسه.

4 - التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، 2007، ص: 52

5 - لقد تم استيحاء هذه المنظورات الستة من كتابين:

M.P. Schmith. A. Viala. Savoir lire. Didier. Paris 1982

A.Viala et M.P. schmitt. Faire lire. Didier. Paris. 1986.

6 - أنظر على سبيل المثال الوثيقة التربوية: وزارة التربة الوطنية، اللقاءات الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالثانوي، وثائق خاصة بالسنة الثانية الثانوية، مطبعة المعارف الجديدة، الربط، 1995، ص: 51 .

الجدير بالذكر أن الوثائق الرسمية تستعمل أحيانا مصطلحا آخر، وهو مصطلح «قراءة». يمكن الجوع في هذا الإطار إلى: كتاب الدليل إلى تنفيذ منهاج اللغة العربية للسنة الثالثة ثانوي جميع الشعب، كتاب الأستاذ، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، 1996، ص: 55.

- يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى:

Greimas, Courtès, Sémiotique raisonnée de la

théorie du langage, T: 2, Hachette, Paris 1986, p : 229.

7 - الوثيقة التربوية: اللقاءات التربوية الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالتعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية، قسم البرامج والوسائل التعليمية، مطبعة المعارف، الربط، 1996، ص: 53.

8 - يقول الناقد الفرنسي تودوروف: «إن التحليل البنيوي الحريص على عدم تحديد الشخصية بجوهر نفسي، قد سعى لحد الآن، ومن خلال فرضيات مختلفة (...) إلى تعريف الشخصية لا ككيان، بل كعنصر مساهم». أنظر:

R. Barthes, Introduction à l'analyse struct - rale des récits, p: 22

9 - A. J. Greimas, sémantique structurale, r - cherche de méthode, Larousse, Paris, 1966, p: 181

10- R. Barthes, l'introduction à l'analyse structurale des récits, p: 22-23.

11 - الوثيقة التربوية: اللقاءات التربوية الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالتعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية، قسم البرامج والوسائل التعليمية، مطبعة المعارف، الربط، 1996، ص: 53

12 - A. J. Greimas, sémantique structurale, recherche de méthode, Larousse, Paris, 1966, p: 181

13 - الوثيقة التربوية: اللقاءات التربوية الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالتعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية، قسم البرامج والوسائل التعليمية، ص: 53.

14 - T. Todorov, les catégories du récit littéraire, p:129.

15 - C. Bremond, Logique du récit, seuil, Paris, 1973.

16 -T. Todorov, les catégories du récits littéraire, p : 147

17 - يمكن الرجوع هنا إلى كتاب نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير- ترجمة : ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ط1 : 1989.

18 - T. Todorov, les catégories du récit littéraire p : 147.

19 - Ibid, p : 148.

20 - Ibid.

21 - الوثيقة التربوية: اللقاءات التربوية الخاصة بأساتذة اللغة العربية العاملين بالتعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية، قسم البرامج والوسائل التعليمية، ص: 54

22 - يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى كتاب: د. حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ص: 73

23 - G. Genette, Palimpseste, Seuil, Paris, 1982.

24 - P.Zima, L'ambivalence Romanesque: Proust, Kafka, Musil, Le Sycomore, Paris, 1980, P:42.

25 - Ibid,p:39.

26 - W- Iser, Acte de lecture, théorie de l'effet esthétique, pierre Mardaga, Bruxelles, 1985.

27 - من المناسب الإشارة هنا إلى أن أرسطو سبق له أن ميز بين « الحبكة» و«القصة»: فهو يرى أن الحبكة تمثل التنظيم الفني للأحداث التي تكون في القصة. لكن هذه الإشارة لم يخضعها لتأطير نظري كما سيفعل الشكلايون الروس. انظر: أرسطوطاليس، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (ب ت)، ص: 50.

28 - Théorie de la littérature , textes des formalistes russes , p:263.

29 - Ibid, p:268.

30 - Ibid

31 - رامن سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 31.

32 - Théorie de la littérature, textes des formalistes russes, p:269.

33 - Ibid, p:270.

34 - د. محمد مفتاح، في سمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، البيضاء، 1982، ص: 183.

35 - روبيرت ماجليولا، التناول الظاهراتي للأدب، وظيفته ومناهجه، ترجمة: عبد الفتاح ديدي، مج: 1، أبريل 1981، ص:

36 - المرجع نفسه.

37 - نقلا عن الدكتور سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، ش. بابل للطبع والتوزيع، ص: 115.

38 -J. Yves Tadié, La critique littéraire au 20 éme siècle, Belfon, Paris, 1990, p : 115

39 - في ما يتعلق بالدراسات الغربية أشار روجي فايول R. Fayolle لإلى انتاح النقد الموضوعاتي على علم النفس والتحليل النفسي. أنظر:

40 - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة: د.جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص: 26.

41 - L, Goldmann, le dieu caché, Gallimard, Paris, 1979, p: 26

42 - L.Goldmann, Marxisme et sciences humaines, Gallimard, Paris

43 - P.Zima, L'ambivalence Romanesque:Proust, Kafka, Musil, Le Sycomore, Paris, 1980.

44 - P. Zima, Manuel de sociocritique, Picard, paris, 1985

45 - ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة:محمد البكري ويمنى العيد، منشورات توبقال للنشر، البيضاء، ط1986:1،ص:93

46 - K. Marx, l'introduction Générale à la critique de l'économie politique, Ed sociales, Paris . p:156-157

47 - ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، ج 2 ، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 245

48 - نفسه

90 - نفسه، ص: 248